SCANNED BY
JAMAL HATMAL

هيثم مناع

المرأة في التاريخ العربي - الإسلامي

منشورات النقطة 10

منشورات النقطة 10

باريس 5 آب 1983

هيثم منتاع

المرأة في التاريخ العربي ـ الاسلامي

مقدمة

منشورات النقطة

الله كان عليا كبيرا." (النساء 30)

- " فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" (النساء 34) .

- " للذكرمثل حظ الانثيين "

- " اباحة الاماء والسبايا مطلقا" (المؤمنون 6)

- " البقاء في المنزل " (الاحزاب 33) *

المجتمع الاسلامي ،الذي اعتمد في قيامه وامتداده على اقتصاد الحرب ، جعل من نفسه ،شاء أم أبى ، منتجا للعبيد والاماء (أسرى وسبايا). نهاية عهد الخلفاء الاربعة الاوائل، سجّلت فيما سجّلت وجود عبد أو امة على الاقل في بيت عربي اسلامي ، لم يعد لوصايا الرفق " بالرقيق " من أهمية ، وقد امتلك الاقتصاد السياسي للاماء كل مقومات ازدهاره عبر نهب القيمة بالحروب وتبادلها بالتجارة وتناقلها بالارث ، انطلاقا من سلعية الامة بالاساس (بمنزلة سائر الاموال من الخيل والدواب - كافة الاسلاميين).

أعاد اقتصاد الحرب بناء الاسرة الاسلامية بادخال السبايا في كل منزل ... قبائل الاعراب التي خرجت من الجزيرة العربية كرها أو طواعية " لفتح " العالم ،خرجت منها كقبائل ،كما كان دخولها للاسلام بعد حروب الردة ، هذه القبائل تغزوا ، وتغرى دون أن تدري بدخول معالم المجتمعات الاخرى الى صلب تركيبتها الداخلية ، والاسماء الاسلامية الكبيرة (الصحابة) تتترافق بأعداد غير عادية من حيازات النساء والاماء* *

---

* انظر: هـ . منّاع ، المرأة في الاسلام ،المجتمع العربي من محمد الى علي .

* أحصى ابن سعد لابن عوف وطلحة بضع عشرة امرأة غير الاماء وكان لابن ابي وقاص زوجات واماء كثيرة ، وتزوج علي بالتتابع سبع نساء واماء ثلاثة ، وللصحابة بشكل عام اثنتان

←

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

" ابناء السبايا" سيصبحون في فم الارثذوكسية الاسلامية (سنة وشيعة) الشتيمة المرافقة لاصحاب " البدع" ... لذلك العدد الكبير من أبناء السبايا الذين استوعبوا عملية التفاعل بين المجتمعات وكانوا أكثر المضطهدين في السّلم السلطوي الاجتماعي ، وباشروا عطاءهم المتقدم منذ العصور الاولى لاندماجهم الاجتماعي غير المتكافىء ضمن " حقوق المواطنة " المنظّمة منذ خلافة عمر ابن الخطاب (634 – 644م / 13– 23هـ).

قضية المرأة لم تغب ضمن هذه السيرورة ، فبعد مقاومة اليثربيات لقونتة الايونية ،فتحت الحرب الاهلية الاسلامية التي أشتعلت في العقد الرابع من التاريخ الهجري (العقد الخامس من القرن السابع الميلادي) أفاقا جديدة للمرأة. ورغم أن أي من الاطراف المتصارعة لم يطرح مسألة المرأة ، فقدّ باشرت المرأة بنفسها الخروج من الطوق الرجالي عبر كسرها احتكار الرجل للقتال ، وتجلى ذلك في صفوف الخوارج (التعبير الاكثر ديمقراطية وراديكالية في العراق) فقد أشتركت النساء الخوارجيات في القتال والتعبئة والانتاج والحياة الادبية والسياسية. وعبر وجودها طرحت المرأة اشكالية الموقف الاسلامي من المرأة في قضايا عديدة . الشبيبة من الخوارج ، وبجيش فيه مئة وخمسين مقاتلة أقروا بحق المرأة في الامامة ، وانتخبت غزالة امامة لهم. البجاء الخوارجية لعبت دورا كبيرا في مناهضة السلطة المستبدة الاموية ،حتى لحظة اعدامها مع تقطيع الايدي والارجل من قبل عبيد الله بن زياد والي البصرة. في محاولة منه لارهاب النساء، اختار الوالي المذكور الاعدام مع تقطيع الايدي والارجل ثم عرض جثث الخوارجيات عارية في

← وثلاث وأربع من النساء وأكثر من ذلك من الاماء، تزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة ونكح الحسن بن علي زيادة على مئتي امرأة كما يقول الغزالي (انظر للتوسع : طبقات ابن سعد، الاحياء للغزالي و الفتنة الكبرى لطه حسين.)

الاسواق • جهيزة ، فراشة ، أم حكيم ، الفارعة أسماء دخلت التاريخ كرمز لدور المرأة في الصراع الاجتماعي ـ السياسي *

كذلك برز دور المرأة مبكرا في صفوف الغلاة منذ النصف الثاني للقرن الاول الهجري (من 670م) ، يذكر الطبري والجاحظ أن حركة الغلاة (المتطرفين) قد وضعت بذرتها عند امرأتين (هند المزنيّة وليلى الناعطية) اللتين جعلتا من منزلهما مقرا لاجتماع الغلاة (الطبري . حوادث 67، الجاحظ. الحيوان ج2 ص 268، ج6 ص 439) •المغيرية والمنصورية من الغلاة ردّت على الممنوعات والفرائض الاسلامية باباحة الجنس " والمحرمات" وترك الصلاة والفرائض (شهرستاني : الملل والنحل 1/178، 1/180) " الجنة نعيم الدنيا والنار محن الناس في الدنيا "(البغدادي : الفرق بين الفرق ص 235) ثمن هذه المبادىء كان اعدام المغيرة (119هـ) والمنصور (حوالي 125هـ) وصلبهم مع من اعتقل من انصارهم • بعدهما ، أبو الخطاب الذي أحل الممنوعات وأباح الشهوات وأعلن " ليس للجنة والنار من معنى خارج وجودنا الارضي "، لقي نفس مصير سابقيه : الاعدام والصلب مع سبعين من أصحابه (النوبختي : فرق الشيعة . و برنارد لويس : أصول الاسماعيلية ، ص 101) .

النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة ، سيفتح آفاقا لتلاقي حركات المتطرفين(الغلاة) وعصبة المجون الادبية وتيّار الزنادقة • الترجمة الواسعة والمد الزندقي المتستر بالمانوية أو بغيرها ، الميراث المزدكي الذي وجد في الغلاة الاوائل بعض

---

* انظر للتوسع : ا. امين ، فجر الاسلام • مخطوط باريس 1452، 1453. و ابن خلكان : وفيات الاعيان ، كحالة : اعلام النساء، فلهوزن : الخوارج والشيعة ... الخ .

معالمه ،والاستياء الشعبي العام، سيجدون في المجتمع العباسي بوتقة تفاعل لرفض احكام الاستبداد وأحكامه منذ استتباب الامر للمنصور (ابو جعفر م 158) .

كتاب مزدك، المترجم شعرا ونثرا، سيجد من يناقشه أو ينتصر له : " ان الذي يمنع الناس عن سلوك طريق السداد منحصر في خمسة أشياء لا غير، وهي الغيرة والحقد والغضب والحرص والفقر ، واذا قمعت هذه الاخلاق الشيطانية ، أستقام طريق الحق ، ومنشأها كلها من شيئين : المال والنساء، فينبغي أن يجعلا على الاباحة بين الخلق اجمعين" (مخطوط باريس 1897) .. " ليس لاحد ملك شيء ولاحجره والاشياء كلها مشاع بين الناس لايختص بها أحد دون أحد" (العبر 176/2) *

اسماء الزنادقة ، الغلاة ، وعصبة المجون تتلاقح في خلوات النقاش والمرح " يتنادمون لايفترقون ولايستأثر أحدهم على صاحبه بمال أو ملك "..." يتواصلون كأنهم نفس واحدة" (الجاحظ في الحيوان ، الاصفهاني في الاغاني). الراوندية والحرورية اسماء تعيد الى الاذهان " تهمة" : استحلال الاموال والفروج ومقاتلة النساء مع الرجال على الخير مضمرات كما يقاتل الرجل "(التنبيه للملطي ص 53، الطبري حوادث 158) الا ان انتصار مزدك ، سيكون في الطرف الاخر من الخلافة العباسية بنجاح انتفاضة بابك الخرمي في اذربيجان .. . الانتفاضة التي جعلت من التراث المزدكي منهلها. ليخوض

---

* في حديثه عن المزدكية ، يقول ابن النديم : "أمر مزدك بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمساواة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض .. ولهم مشاركة (المزدكيين) في الحرم والاهل لايمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولايمنعه ومع هذه الحال فيرون افعال الخير وترك القتل وادخال الالام على النفوس ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لاحد من الامم ، اذا أضافوا انسانا لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ماكان "(الفهرست ص 479) .

الخرميون صراعا طويلا مع السلطة العباسية (201–222هـ/816–837م) بذلت فيه الدولة العباسية كل قواها لاجهاض التجربة الناهضة واحضار بابك وصلبه ، بعد أن بصق في وجه الخليفة المعتصم (الروض المعطار للحميري ص 229)كآخر رسالة تمردعلى استبداده .

حركة الترجمة والتأليف المتصاعدة والصراع النظري والسياسي – الاجتماعي الآخذ بالاتساع في القرن 3هـ/9م بدأت تغزو بعض الاتجاهات الاسلامية غير الارثذوكسية . الجاحظ من المعتزلة يخرج عن المألوف الاسلامي في قضية المرأة :" لسنا نقول ،ولايقول أحد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ، ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحقروهن أشد الاحتقار ويبخسوهن أكثر حقوقهن" (رسائل الجاحظ ص 269) . يرد الجاحظ نفسه على ادعاء الفقهاء وغيرهم أن المرأة أدنى وأقل شهوة من الرجل بتوجيه السؤال باسلوبه الساخر، مجيبا بلسان بدوي :

فوالله ما أدري واني لسائل ألا ير أدنى للفجور أوالحر
وقد جاء هذا مرخيا من عنانه وأقبل هذا فاتحا فاه يهبر

الرأي المعرفي المناهض للرأي الديني يجد من يردده ، وتكرره لعهد بعيد المخطوطات العربية نقلا أو نقدا :

" ان مراد المرأة من الرجل كمراد الرجل منها من وجود الشهوة واللذة ، ألا ترى أن الرجل لو أقام على المرأة ثلاثة أيام ولم ينزل لم يقنع بذلك ، الا أن تأتيه شهوته ، وكذلك المرأة لو أقام عليها الرجل مثل ذلك ولم تأتها شهوتها لم تزدد بذلك الا كرها وبغضا للرجل " (مخطوط باريس 3039 ص 39) .

الرازي يرد على استعمال بعض القائلين بالامزجة والطبائع لها في التفريق بين الجنسين ، رافضا ربط اليونانيين للحرارة واليبوسة بالرجل والبرودة والرطوبة بالانثى واعتبار مزاج المرأة أبرد من الرجل أو ارتباط سخونة ماء الرجل وبرودة

ماء الانثى بتحديد جنس الجنين مضيفا " قد نرى نساء أسخن أمزجة من رجال كثير فيدل ذلك أنه ليس الذكور والاناث للسخونة (كتاب الحاوي ص 409)•

الدور الثقافي والمعرفي ،والاختلاط الذي عاشته الاماء (البغايا الشرعيات اللاتي يتناقلهن الرجال بعقد الشراء) ،كسر هذا الدور * مفهوم دونية الامة المعرفية وان استمرت عبوديتها الشرائية والقانونية• عدد من المؤلفين يكتبون في أفضلية الامة على الحرة ، ليس فقط في الفراش وانما ككائن انساني وكمنشىء للاطفال ومغنية وشاعرة••• أبناء الاماء يبرزون في معظم الفعاليات الثقافية والسياسية * * (يقول ابن حزم في نقط العروس : لم يل الخلافة في بني العباس من أمه حرة حاشا السفاح والمهدي والامين ،ولم يلها من بني أمية بالاندلس من أمه حرة أصلا)

الحرية الجنسية والجنس المثلي يعيشان بأشكال مختلفة : قمعية في الاوساط السلطوية والغنية ، وتحررية رافضة في صفوف المعارضة الراديكالية وقطاع من عامة الناس• البكارة التي جعل منها الدين احدى أركان الهرمية في تصنيف النساء الابوي (بكر – ثيّب) أصبحت في الاجواء الاكثر تحررا عالة

---

* مع ازدهار تجارة العبيد في العصر العباسي ،قام التجار بتمويل مدارس في بغداد والمدينة وقرطبة.. لتعليم الاماء الشعر والادب والموسيقى والغناء حيث يرتفع ثمن الاماء في أسواق الرقيق مع درجة تعلمها.

* * لايتسع المجال هنا لرصد تجارة العبيد وجلب السبايا بالحروب، الا ان من المفيد القول ان القصر العباسي لم يكن وحده معقلا للبغاء ، القصر الفاطمي ضم أكثر من 12000 أمة ، قصر عبد الرحمن الثالث حوى 6300 أمة في قرطبة ،عدا الغلمان ، اسواق الرقيق كانت تجلب العبيد من أوربة واسية وافريقيا ،وقد وجدت النجارة الربوية الاسلامية في الوسطاء من نظائرهم اليهود شريكا ممتازا؟. انظر للتوسع : الموسوعة الاسلامية :عبد ،موسوعة أحمد امين الاسلامية ،و : الاسلام في عظمته الاولى لموريس لومبارد .

على صاحبتها ، التوحيدي يعرض بفكاهته الفذة لهذه الواقعة بالقول :" قيل لجارية : انت بكر؟ قالت : كنت ،فعافاني الله ." (البصائر والذخائر 1/473). وتعرض طرائف الاماء للزنا في اعتبار القصة الدينية (آدم وحواء) تجعل منا جميعا شئنا أم أبينا أبناء زنى ، المعري يترجم ذلك فيما بعد شعرا بقوله :

اذا ماذكرنا آدما وفعاله وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنى
علمنا بأن الخلق من أصل زنية وأن جميع الناس من عنصرالزنى

مثّل القرن الثالث للهجرة (تاسع ميلادي) بحق قرن التناقضات العميقة والمفارقات الكبيرة ، ففيه انتعشت المعارضة الراديكالية والعقلانية الالحادية من جهة ،وتأطرت فيه السنن والطاعات والترهيب والترغيب وحاكمية السلطة المستبدة والانغلاق المذهبي في المدارس السنّية والشيعية الارثذوكسية ... التفاوت الطبقي ازداد بشكل هائل بين الجهاز السلطوي والتجارة الربوبية من جهة والعامة المنتجة في المجتمع من جهة ثانية حيث " ابناء الذوات " يجسدون مآسي ومهازل الف ليلة وليلة ، وابناء العوام يصنعون الانتفاضات المتتابعة في المدن والريف . التغييرات البنيوية المتصاعدة اخترقت كل شيء الا مستنقع الركود الدوغمائي ، دونية المرأة تجد عند ائمة الاستبداد فتاوى تقبّح وجه أصحابها القبيح وسيأتي المتوكل (مات 247 هـ /861م) ليتوكل على ابن حنبل مبايعا أكثر المدارس تخلفا وتعصبا بآن .

مثلّت انتفاضة الزنج (869– 883م/255–270هـ) ردّ الفعل المباشر على القمع والاضطهاد الواقع على العبيد ، وتصاعدت انتفاضات المدن في العراق وسورية وفلسطين الا ان أهم أحداث هذا القرن دون منازع ، هو ظهور الحركة القرمطية وانتصارها في سواد الكوفة (278 – 987/العقد الاخير من القرن التاسع الميلادي) ثم في شرق الجزيرة العربية (287 هـ/899م)

بعد اجهاض الاعداء الخارجيين لمجتمع الالفة القرمطي الاول . استهلت الدعوة القرمطية من التراث المعرفي والراديكالي مادتها .. التهم التي يتوازعها الاسلاميون حول القرامطة تعطي أفضل فكرة عن مناهلهم (المزدكية ، الدهرية ، الخرمية ، الفلاسفة ، الصابئة ، الغلاة ، الزنادقة ...والخ) ويمكننا قراءة بعض معالم الدعاوة القرمطية في البلاغات القرمطية التي وصلتنا : الشك فيما هو قائم ،" تمهيد طريق للخروج عن أحوال الانبياء وشرائعهم والعدول عن ذلك الى امور الفلاسفة في ترتيب شبههم أبداً ما رأوا أن هناك بقية من دين "، تفكيك عقائد الاتجاهات الاسلامية والدينية المختلفة ، نقد مفهوم النبوة ..الخ. ابن الجوزي ينقل لهم ادراكهم المبكر لضرورة " انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس حتى تبطل الرهبة والرغبة (المنتظم 5/117) ... لاجنة ولانار ،النار مصائبكم والجنة سعادتكم الارضية الممكنة ، الفرائض الدينية ليست بذات ضرورة أو معنى ، ولكنها ليست ممنوعة أيضا . اما علاقة الجنسين فلامانع أن نلحظها في هذه العبارة المشوهة لفقيه لم يستطع أن يتصور الرجال والنساء دون فكرة فاعل ومفعول ،وقامع ومقموع :" المفعول به من الرجال أفضل عندهم من الفاعل ،حتى يقوم الواحد منهم من فوق المرأة التي لها زوج وليست بمحرم فيقول : طوباك باموءمنة وهكذا يقولون للرجل والغلام اذا مكّن نفسه وكذلك أموالهم وأملاكهم لايحظرونها من بعض على بعض مباحة بينهم*

---

* (التنبيه ،ص 22) . من المعروف ان التراث اليوناني كان أوبيا وقد أعتمد القرامطة كما يبدو في البلاغات على الفلاسفة الدهريين اليونانيين في أزلية العالم ، ونهلوا من العقلانيين الراديكاليين (الوراق وابن الراوندي والرازي) في نقد النبوة والدين. أما في علاقات الجنسين فتبدو معالم المزدكية والغلاة والخرمية ("بين الخرميين ،من يقول باباحة النساء على الرضا منهن واباحة كل مايلذ النفس وينزع اليه الطبع "ـ المقدسي،البدء والتاريخ 24/4) والصابئة الحرانية ("فريضة الذكر والانثى سواء"، ابن النديم ، الفهرست ،ص 444) .

← ويضيف الملطي : " شرب الخمور والمنكر والملاهي وسائر مـــا يفعله العصاة فهو عندهم شهوات ان شاء فعلها وان شاء تركها، ولايرون فيها وعيدا ولا في تركها ثوابا (التنبيه)*

اعدام معظم التراث القرمطي من قبل خصومهم واغتيال رواد مجتمع الالفة من قبل الاسماعيليين الاصلاحيين حرمنا من اطلاع كاف على معالم تجربة القرامطة في سواد العراق، ولكن الاتكفي هذه الشهادة من خصومهم وسامالهم : " فقوي قرمط ،وأخذ يجمـــع أموالهم ،فكان أول ما فرض عليهم الفطرة ، وهي درهم يـــوءخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان ،فسارعوا الى ذلـــك وحملوه اليه ... ثم فرض عليهم الهجرة ، وهي دينار على كل رأس أدرك الحنث ، فدفعوا ذلك اليه وتعاونوا عليه حتى أن من كان منهم فقيرا أسعفوه ، ثم فرض عليهم البلغة ، وهي سبعة دنانير ... ثم فرض عليهم الخمس من كل مايملكونه ومايكتسبونه ... فبادروا الى ذلك وقوّموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتى أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ،ثم فرض عليهم الالفة وهي انهم يجمعون أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا فيه كلهم اسوة واحدة لايفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ... كان يكسو عاريهم وينفق عليهم مايكفيهم حتى لم يبق بينهم فقير ولامحتاج،وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في

---

* تعطي هاتان الجملتان فكرة عن القرامطة : "وهب الناس جميع وسائل الحياة بسخاء لكي يقتسموها بالقسط حتى لايكون لاحد أكثر من غيره ،لان عدم المساواة هو نتيجة الاغتصاب،وما الاغتصاب الا محاولة بعض الناس ارضاء شهواتهم على حساب غيرهم "..." امرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة واستنقذهم من ورطات الدل الى ... واملكهم مايستغنون به عن التعب والكد." (انظر : بندلي جوزي من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص 103 ، و ابن الجوزي : القرامطة ، ص 96.)

صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها ،وأدى اليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ،ولم يبق في ملك احد منهم غير سيفه وسلاحه لاغير" (ابن سنان وابن العديم ، تاريخ اخبار القرامطة ،98-99)

" ثم طلب قرمط الى دعاته بجمع النساء ذات ليلة ليختلطن بجميع الرجال من غير تمييز، كان ذلك في نظره منتهى الصداقة والاتحاد الاخوي "(القرامطة لـ دي خويه ص 35)٠

سقوط الحجاب (كما يذكر ابن الجوزي في المنتظم والغزالي في فضائح الباطنية) والاختلاط بين الجنسين وقيام المرأة بالعمل وتحملها المسوءوليات الاجتماعية العامة كالرجل، سقوط ملكية الاشياء والبشر(غياب العبيد والاماء) لاول مرة في تاريخ المنطقة منذ محمد٠٠٠ سقوط الوصايات والولاية والارث وغياب المهر(ما يستحل به الحرائر من النساء حسب ابن سيده ؟) والغاء البغاء الشرعي الذي عرفه ابناء الديانات الثلاثة٠٠٠ قيام مجتمع كل أعضائه "اسوة واحدة" كما ينقل النويري والطبري وابن سنان ٠٠ وفي تأبيد من كل أبناء المجتمع" لم يبق من البطون المتصلة بالكوفة بطن الا دخل في الدعوة "(النويري، مخطوط باريس 1576 ص 48)٠ امور لم يستطع ألدّ أعداء القرامطة انكارها عليهم في مجتمع الالفة٠ لعبت المرأة دورا أساسيا في نجاح الدعاوة والتجربة القرمطية وغالبا ما كانت النساء يلتحقن بالدعاة قبل الرجال المسألة التي يسجلها الفقهاء " كنقطة مشينة " ؟ للقرامطة (انظر النويري والغزالي وابن الجوزي٠٠والخ) ، بل أحيانا كن مع الناشئة وحدهم يوءيدون الدعاة :" بعث دعاته الى السواد فلم يلتحق به فيما قيل الا النساء والصبيان (النويري ص 69)٠ بالاعدام ، عبر الغزو الخارجي لمجتمع الالفة ، حكم على المجتمع العربي – الاسلامي في العراق ومجاوراتها أن يمهدلعالم انحطاطه مئة وثمانين عاما قبل شرق الجزيرة العربية حيث انتصر القرامطة في بناء أول جمهورية علمانية في الجزيرة

العربية.* وان كان الاستبداد في مرحلة انحداره ،يمثل أبلغ تعبير لهمجية حاكمية البشر للبشر، فهو خير تربة للعبودية

المعممة للمرأة والغاء وجودها كاملا ككائن حيّ. المرأة التي كان خروجها من سجنها وبأية نسبة كانت انتصارا للتيارات الاكثر تقدما في كل مرحلة من مراحل التاريخ العربي ـ الاسلامي، أصبحت هدفا لسهام الائمة والاسلاميين دون استثناء.وان كانت حصيلة الدونية المدونة في القرآن والاحاديث المجمعة أوالمنسوبة لمحمد في القرون الثلاثة الاولى للهجرة قد أقامت " جدارا" واقيا لفحولة رجال الدين ، الا ان الفقهاء المشدوهين " بالدور الشيطاني للمرأة في مناهضة الاسلام السلفي " قد باشروا، ودون رحمة تدعيم الحديث المحمدي بأحاديث جديدة ، ضعيفة أو غير مسنودة ، لايهم، مادامت الغاية محاربة " حزب الشيطان ".

الاتجاه السني يعتبر القبر أفضل مخلّص للمرأة من " عوراتها": " للمرأة عشر عورات فان تزوجت ستر الزوج عورة واحدة ، فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات "(الغزالي ، احياء ، 2/58).

للمرأة ستران .. قيل وماهما؟ قال محمد: الزوج والقبر"(الطبراني في الصغير) " امرأة آمت زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى شابوا أو ماتوا"(عن ابن داود)..الخ. والارث الشيعي يطالع الناس بأقوال علي في " نهج البلاغة ويضيف اليه مادة يتناقلها السنة والشيعة سواء فيما يخنق المرأة حيّة في الوأد الجديد الذي ابتدعه رجال الدين:" يقول على : أيها الناس لاتطيعوا للنساء أمر فانهن ان تركن ومايردن أفسدن وعصين فانا وجدناهن لادين لهن في خلواتهن ولاودع لهن في شهواتهن، الشهوة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة ،فأما صوالحهن فعاهرات والمعصومات فيهن المعدومات "(مخطوط باريس 3564 ص 73) .

---

* يحتاج تناول المجتمع القرمطي في شرق الجزيرة العربية لدراسة شاملة .

الحياة اليومية للمرأة كما رسمها الاسلاميون وحققها الاستبداد الرجّالي ،يعرضها الغزالي بوصفها " آداب المرأة ":" قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها ، لايكثر صعودها واطلاعها ،قليلة الكلام لجيرانها ،لاتدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها في غيبته ،وتطلب مسرّته في جميع أمورها ،ولاتخونه في نفسها وماله ،ولاتخرج من بيتها الا باذنه ،فان خرجت باذنه فمتخفية في هيئة رثّة ،تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق ،محترزة أن يسمع غريب صوتها أو ان يعرفها بشخصها لاتتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها ،بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا أستأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ،وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها اذا شاء ، مشفقة على أولادها ،حافظة للستر عليهم ،قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج" (احياء علوم الدين ،ص 59 ،ج2) .

باختصار ، الزوجة المثالية هي العبدة المثالية ، أليس النكاح رق كما قال الرواة في الحديث ؟

قبل ميلاد الغزالي ،سجلت الدولة البويهية (320-447) للقرامطة بعد نظرهم (لاترحم علويا .. أو تنخدع بآل بيت - كتاب السياسة) و نهاية الاوهام المعلقة على المدرسة الشيعية ... جفت الروؤس بعد اثنتي عشر اماما ، ورفعت الصحف بعد ان سجل ابن بابوية " مالايحضره الفقيه " ، التقية في اختبارها الاول، تابعت بناء فاتيكانها من دم الحسين وخمس الامام المقتطع من عرق الفقراء ، مقدمة " الرضا للسلطان ماالتزم الصمت عن امتيازات الجهاز الديني .. وصية الامام موسى بن جعفر ستصبح مثلا يضربه الائمة لاحترامهم لمنظومة الاستبداد: " لاتذلوا رقابكم بترك

طاعة سلطانكم ،فان كان عادلا فاسألوا الله بقاه وان كان جائرا فاسألوا الله اصلاحه ،فان صلاحكم في صلاح سلطانكم" (المطفر ، عقائد الامامية ،ص 154)• العفش الرجالي بصورته الغزالية معززا بترخيص البغاء الموءقت (المتعة) يلخص علاقة الجنسين في البيئة المتدينة ومناطق نفوذ الموءسسة الشيعية •

لم تخرج الحركات الباطنية الاصلاحية من اطار الابوية بعد تشويهها وتراجعها عن بداياتها التغييرية : جعفر بن منصور اليمن يقرّ التأويل الظاهري والباطني للاية " الرجال قوامون على النساء (كتاب الكشف ،ميلانو ،ص 78)، نصوص اسماعيلية اخرى تركّز على النساء النواقص العقول وتتحدث عن " الذكران بفضل القوة التي بها فضلت وعلى الاناث شرفت وعلت" (أربعة كتب اسماعيلية ،ص 14، 144) وقد نسي الخلفاء الفاطميون (297–567هـ) المستضعفين والمستضعفات في الارض منذ وصولهم عتبة السلطة لينسخوا مجتمع الاستبداد بشكل بائس • المخطوطات النصيرية تفوق الارثذوكسيين عداوة للمرأة "الاناث هن كالحيوانات ، مجردين عن وجود النفس الناطقة وان انفاس النساء تموت كأجسادهن " (مخطوط المكتبة الملكية ، برلين 4291 ص 56) مقرة البغاء الموءقت ومانعة المرأة من تلقي علوم الدين (مخطوط ملكي برلين ، مخطوط باريس 1450 ،ص 161)• نصوص الموحدين (الدروز) تحوي تناقضا كبيرا في محاولتها التوفيق بين الارث الباطني الراديكالي والموقف التقليدي السلفي : "اذا تسلّم أحد الموحدين بعض اخواته الموحدات فيساويها بنفسه وينصفها من جميع ما في يده (شرط الامام صاحب الكشف ، نشره دي ساسي)"•رسالة النساء الكبرى (مخطوط باريس 1418 ،ص 40 – 42) توءكد على أهمية تعلم المرأة وحفظها للحكمة••• الا ان المفاهيم البعلية : منع الخلوة ، عزل مجالس الجنسين ، النساء من وراء حجاب ، " عدم حديث المرأة أو ضحكها أو بكائها مما يثير الشهوات عند الرجال ،قصورها و حاجتها الى ولي "(انظر : ميثاق النساء

مخطوط باريس 1414، النساء الكبرى ،مذكور ص 39)لم تغب ؟

جاء العهدان المملوكي والعثماني (648-923هـ/1450- 1517م) و (1517 م/ 923هـ الى مطلع قرننا) ليسجلا المرأة رقا ، مصدرا للشرور والمكائد، ووسيلة لقمع الرجل المقموع للمرأة المستعبدة في حالة انحطاط عامة .. فمجتمع الاستبداد الطبقي في مرحلة انحداره ، يتقن فحسب خنق كل امكانية مبادرة ويفتقر لكل شيء .. المفاهيم البائسة نفسها يصبح من واجبها ان تصير أكثر بؤسا لان بؤسها أقل مما يتطلبه الواقع البائس ، وحيوانية الانسان لاتدرك في لحظة لايعرف فيها قائد القطيع الا نهب وسلخ أغنام "ه" الا أن تسلخ وتنهب نفسها مادامت قد قبلت سلخ حكامها ، وان تجسد ضمن شمولية القمع قمعا لايرحم لنصف انسانيتها الاخر (المرأة).

السيوطي (849- 911 هـ)يتصدر بتحميداته العهد المملوكي:

" الحمدلله الذي فضل بعض الاجناس على بعض ...الحمدلله الذي فضل الناس بعضهم على بعض ... الحمد لله الذي فضل الرجال على النساء ... الحمدلله الذي جعل اللذة الكبرى للرجال ... الحمد لله الذي زيّن الابكار بالنهود في الصدور وجعل السيقان مصاطب الاعيار الذكور(مخطوط باريس 659، 306 الخ) الركلام المعلن للتشيوء والتمتع الاستهلاكي بجسد المرأة بالزواج المتعدد تكرره عشرات الصفحات

" من أراد ان تحبه الاناث يتزوج منهن ثلاث، ومن اراد الرياضة والمرتع فليأخذ منهن أربع ، ومن أراد البهجة لنفسه فليأخذ من الحبشيات ، والابكار خير من الثيّبات ...الخ".

(مخطوط باريس 3060 ص 139) . مئات الصفحات التي كثر تفصيلها وغاب تحصيلها يوظفها السيوطي"لشيطانية "المرأة ، طاعتها المطلقة ، استعمالها الفائق والوسائل الكفيلة باكتشاف المرأة التي تمارس الجنس مع غير زوجها عبر خمسة عشر مركبا من

" الطب الشعبي " (الرحمة في الطب والحكمة ص 158).

ابن تيمية (1262- 1327 م)سينصب شيخا للاسلام بقواعده

الاساسية : مناهضة العقلانية والفلسفة " شرك الفلاسفة أشنع من شرك الجاهلية " (الرد..) والخضوع للامام الجائر " ستون عاما من امام جائر خير من عام بلا امام" (السياسة الشرعية)وتعميم الطاعات (المرأة لبعلها والعبد لسيده والمحكوم لحاكمه والابن لابيه..الخ) وتشريع الاستغلال " دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض "(الحسبة).

الوهابية (منذ 1745م) التي لم تجد منهلا أكثر عقما لها ستعطي نموذجا حيّا للسلفية الميتة.

البيبلوغرافيا الاسلامية في الجنس والعلاقة رجل ـ امرأة ، تمثل في عهد الانحدار خير نصوص تعبوية لعدوانية الرجل وساديته وتشويه المرأة واحباطها النفسي والجنسي ، ويأتي المبتنوني الحنفي (1095 هـ) لتصفية ماتبقى من حسابات مع الجنس النسوي بأفق أئمة بني عثمان بعرض مصائب التاريخ انطلاقا من أن الشيطان ليس مصدر الخطر الاساسي فالله قد استضعف كيد الشيطان فقال: ان كيد الشيطان كان ضعيفا ،وقال العزيز لزليخا : انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (العنوان في مكايد النساء، مخطوط باريس 3564– 3567).

حال المرأة ،ملكية مصادرة للرجل في مجتمع وضعت ملكياته العامة برسم السلطان وأداة تصرف وتمتع ضمن الحرمان الشامل من امكانية الفعل الاجتماعية والسياسية ومتنفس " رد فعلوي" لرجال " عبيد أسرى" شغوفين لاعادة انتاج القمع الممارس عليهم من السلطة المستبدة ،والتركيبة الاجتماعية الاستبدادية ، في نسائهم وأطفالهم .

في الريف تعمل المرأة في البيت والحقل ، تنكش وتحصدوتدرس وتمخض اللبن وتعد الطعام وتجمع الحطب وتجلب الماء وتنظفالمنزل وتربي الاولاد. وفي المدينة تعيش مأساة المطبخ الشرقي والسجن المنزلي وأعماله الشاقة وتربية الاولاد.. وفي الحالتين يكافئها الرجال " الاكثر ورعا" بالخطيئة التي لم ترتكبها قط" مانزلت

على امتي فتنة أشد على الرجال من النساء"..." تقبل المرأة في هيئة شيطان وتدبر في هيئة شيطان " .." المرأة عورة فاذا خرجت أستشرفها الشيطان " ... " امرأة ربت ثور ما حرث " ...الخ .

غياب المرأة في سجنها لم يكن ليسجنها وحدها ،فكأن السجين والسجّان معتقلان ،لم يلمع في عهود السواد أسماء رجال قدموا للفكر أو المجتمع شيء يذكر ولم يكن لائمته أن ينطقوا الاّ بما لايرفع غباوة ولايزيل غشاوة .

حزيران 1982

عن

منشورات النقطة

يصدر :

١١- صلاح الحمداني : الوعيد بالالحاد (قصائد)
١٢- عبدالقادرالجنابي: بول سيلان وردة اللاأحد
١٣- سبع وثائق سوريالية مصرية .
١٤- لودفيغ فويرباخ: جوهر الدين
١٥- حناية بول شاوءول على الشعر الفرنسي الحديث .

" لا يباري الأديان الابراهيمية في عداوتها للوقائع التاريخية الاّ تفاخر القومجيين بنقاء وعظمة تاريخهم . ولعلّ من أمّر المهمات الواقعة على الطرفين مهمة تأويل وتبرير غياب أي دور للاديان في تحرر "العبيد" أو في التلفظ بكلمة حرية المرأة أو معناها ، الغائبة في كتبهم " الملهمة "..."

" ان اقتلاع الطحالب المستنقعية لتشريحها وتعريتها على الملأ مهمة أساسية من مهمات كل الاحرار الحريصين على نقد جذري صارم يجعل من كل عار عورة ، تعجز أواليات الاستبداد العربي-الاسلامي جميعها عن امتلاك وسائل تستربها قبحها."